التَّارِيخُ: 16.08.2024

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ...

بِيئَتُنَا أَمَانَةٌ فِى أَعْنَاقِنَا

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

إِنَّنَا نَعِيشُ فِى بُنْيَةٍ مُتْقَنَةٍ واسْمُهَا الْكَونُ، فَرَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِى خَلَقَ هَذَا الكَونَ البَدِيعَ مِنَ الْعَدَمِ، وَهُوَ الَّذِى يَحْفَظُهُ وَيُدِيرُهُ. وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِى يَمْنَحُنَا الْمَاءَ الَّذِى هُوَ مَصْدَرُ حَيَاتِنَا، وَالْهَوَاءَ الَّذِى نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِى كُلِّ نَفَسٍ، وَهُوَ الَّذِى يَجْعَلُ التُّرْبَةَ مَصْدَرًا لِلْخُضُوبَةِ وَالْغَابَاتِ مَصْدَرًا لِلْأُكْسِجِينْ. إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِى خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ وَالْبِحَارَ وَالْبُحَيْرَاتِ وَالْأَنْهَارَ أَىْ كُلَّ النِّعَمِ الْمُتَاحَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ. فِى الْوَاقِعِ، يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى الْاٰيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِى قَرَأْتُهَا فِى بِدَايَةِ خُطْبَتِى مَا يَلِى:" **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** "[1].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

إِنَّ بِيئَتَنَا هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَهِىَ أَمَانَةٌ وَرِثْنَاهَا عَنْ أَسْلَافِنَا وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْقُلَهَا إِلَى الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى أَحَدِ أَحَادِيثِهِ: "**لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ** "[2]. وَذَكَرَ رِعَايَةَ الأَمَانَةِ مِنْ مَظَاهِرِ الْإِيمَانِ. فَإِذَا رَاعَيْنَا بِيئَتَنَا وَحَافَظْنَا عَلَيْهَا بِدِقَّةٍ فَإِنَّنَا سَنُحَافِظُ عَلَى هَذِهِ الْأَمَانَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

لَمْ يَحْدُثْ أَىُّ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ. بَلْ إِنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ:"**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ**"[3]. نَعَمْ، إِنَّ البَشَرَ اليَوْمَ الَّذِينَ لَا يُفَكِّرُونَ فِى شَىْءٍ سِوَى أَنْفُسِهِمْ وَيَبْحَثُونَ عَنِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ يُخِلُّونَ بِالتَّوَازُنِ الطَّبِيعِيِّ عَلَى الْأَرْضِ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَسْرَى الجَشَعِ وَالطَّمَعِ الَّذِينَ يَسْتَسْلِمُونَ لِرَغَبَاتِ غُرُورِهِمْ الَّتِى لَا تَشْبَعُ يُدَمِّرُونَ بِلَا مَسْؤُولِيَّةٍ مَجَالَاتِ الإِسْتِخْدَامِ الْمُشْتَرَكَةِ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ. إِنَّ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْأَرْضَ غَيْرَ صَالِحَةٍ لِلسُّكْنَى بِالْأَسْلِحَةِ الكِيمْيَائِيَّةِ وَالقَنَابِلِ الَّتِى يُنْتِجُونَهَا وَلَا يَقْتُلُونَ الأَبْرِيَاءَ فَحَسْبُ، بَلْ يَقْتُلُونَ الْحَيَاةَ الطَّبِيعِيَّةَ أَيْضًا بِالْإِبَادَةِ الْجَمَاعِيَّةِ الَّتِى يَرْتَكِبُونَهَا فِى أَنْحَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْعَالِمِ، وَخَاصَّةً فِى غَزَّةَ. وَفِى وَاقِعِ الْأَمْرِ يُعَرِّفُنَا رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ عَلَى النَّحْوِ التَّالِى:" **وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**"[4] .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفَاضِلُ!

إِنَّ مِنْ أَكْثَرِ المَشَاكِلِ البِيئِيَّةِ الَّتِى يُعَانِى مِنْهَا العَالَمُ الْيَوْمَ هِىَ مُشْكِلَةُ الْعَطَشِ وَالْجَفَافِ. وَقَدْ نَهَى نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ إِهْدَارِ قَطْرَةِ مَاءٍ وَاحِدَةٍ وَنَصَحَنَا بِالاقْتِصَادِ فِى اِسْتِخْدَامِ المَاءِ حَتَّى عِنْدَمَا نَتَوَضَّأُ مِنَ النَّهْرِ[5]. وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ مَوَارِدَ المِيَاهِ تَخْتَفِى اليَوْمَ فِى العَدِيدِ مِنَ الأَمَاكِنِ، بِمَا فِى ذَلِكَ بِلَادِنَا، نَتِيجَةً لِلإِسْتِخْدَامِ غَيْرِ الضَّرُورِيِّ. فَالنَّفَايَاتُ المُلْقَاةُ بِشَكْلٍ غَيْرِ مَسْؤُولٍ، وَآبَارُ المِيَاهِ غَيْرِ المُخَطَّطِ لَهَا، وَالرَّىُّ غَيْرُ الوَاعِى يُهَدِّدُ مُسْتَقْبَلَ المِيَاهِ الَّتِى هِىَ مَصْدَرُ حَيَاتِنَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

نَحْنُ لَسْنَا مَالِكِينَ لِلْعَالَمِ، بَلْ نَحْنُ أُمَنَاءَ عَلَيْهِ. مَا عَلَيْنَا فِعْلُهُ هُوَ الابْتِعَادُ عَنِ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ وَحِمَايَةُ بِيئَتِنَا بِوَعْيِ العِبَادَةِ. وَأَنْ نُحَافِظَ عَلَى نَظَافَةِ وَحِمَايَةِ حَيَاتِنَا الطَّبِيعِيَّةِ وَغَابَاتِنَا وَمَنَاطِقِ التَّنَزُّهِ، وَخَاصَّةً مَوَارِدَنَا المَائِيَّةَ. وَأَنْ نَكُونَ حَذِرِينَ مِنْ حَرَائِقِ الغَابَاتِ، خَاصَّةً فِى أَشْهُرِ الصَّيْفِ. وَأَنْ نَتَجَنَّبَ كُلَّ أَنْوَاعِ التَّصَرُّفَاتِ وَالسُّلُوكِيَّاتِ الَّتِى مِنْ شَأْنِهَا الإِضْرَارُ بِبِيئَتِنَا وَالكَائِنَاتِ الحَيَّةِ وَالإِخْلَالِ بِالتَّوَازُنِ الطَّبِيعِيِّ. وَأَنْ نَسْعَى لِتَرْكِ عَالَمٍ صَالِحٍ لِلْعَيْشِ وَبِيئَةٍ نَظِيفَةٍ لِأَجْيَالِنَا. وَلَا نَنْسَى أَنَّ النَّظَافَةَ هِىَ نِصْفُ الإِيمَانِ وَالشَّرْطُ الأَسَاسِىُّ لِلْعِبَادَةِ[6]. وَهِىَ أَهَمُّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ المُسْلِمِ. لِذَا، يَنْبَغِى عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى نَظَافَةِ مَكَانِ عَمَلِهِ وَشَارِعِهِ وَبِيئَتِهِ وَأَمَاكِنِ التَّرْفِيهِ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ بِشِدَّةٍ المَوَاقِفَ وَالسُّلُوكِيَّاتِ الَّتِى مِنْ شَأْنِهَا الإِخْلَالُ بِالتَّوَازُنِ الإِلَهِيِّ الَّذِى وَضَعَهُ رَبُّنَا فِى الْكَوْنِ.

وَأَخْتِمُ خُطْبَتِى هَذِهِ بِحَدِيثِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" **عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ...**"[7].

---

[1] سُورَةُ الْجَاثِيَة، 13/45.

[2] ابْنُ حَنْبَل، الْجُزْء الثَّالِث،134.

[3] سُورَة الرُّوم،41/30.

[4] سُورَة الْبَقَرَة،205/2.

[5] ابْنُ مَاجَهْ، كِتَاب الطَّهَارَة،48.

[6] مُسْلِم، كِتَاب الطَّهَارَة،1.

[7] مُسْلِم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ،57. ابْنُ مَاجَهْ، كِتَابُ الْأَدَبِ،7.

الْمُدِيرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْخَدَمَاتِ الدِّينِيَّةِ